

Reporter News

تقرير عن " الهجرة "

اللبنانيون يهاجرون ولكن بأعداد مثيرة للقلق، المسألة مطروحة اليوم على هذا النحو، والنقاش فيها تشعب، بدءاً من الأرقام وانتهاءً بالسبل الآيلة الى معالجة نزيف الوطن من قدراته البشرية، وخصوصاً الشبابية. وتلتقي الآراء عند الشأن الاقتصادي الذي هو مفتاح الحل. وفي الوقت عينه يتبين ان لبنان الذي عانى في ربع قرن اشد انواع الحروب والازمات في تاريخه الحديث، يواجه اليوم معضلة النمو السكاني، انه امام خطر تحوله مجتمعاً هرباً اسوة بالمجتمعات الغربية... ففي ندوة نظمتها " النهار " حول هذا الموضوع جمعت د. بطرس لبكي النائب السابق لرئيس مجلس الإنماء والإعمار، عميد كلية السياحة في الجامعة اللبنانية د. علي فاعور، رئيس مصلحة المغتربين والهجرة في المديرية العامة للمغتربين جهاد عقل... يمكن الإشارة الى الوقائع الآتية :

١- يقول د. لبكي : لا شك ان مسألة الهجرة هي موضوع الساعة الذي يطرح يومياً... تاريخ لبنان لم يشهد مرة هذا الدفع البشري نحو الهجرة، فمنذ ١٩٧٥ والى الآن - وفق الإحصاءات الرسمية - الأرقام مخيفة، وخصوصاً بين ٩١ و ٩٩ اذ بلغت مليون و ٨٨ الفا. هذه هي إحصاءات الأمن العام، في حين ان هناك ٧٥ الفا هاجروا خلال النصف الأول من هذه السنة. وعند مقارنتها مع وتيرة التطور الاقتصادي فانها تزداد مع انحدار النمو الاقتصادي... في اثناء الحرب كانت الأرقام : ٤٠٠ الف (٧٥)، ٣٠٠ الف (٧٦)، اما بعدها فمن الواضح ان الاقتصاد هو السبب الأساسي للتحركات السكانية... وعندنا موضوع الشباب، ولدينا معطيات غير مفرحة. فاذا ما قارنا التركيب العمري للمقيمين والمغتربين فلن نسر بالنتيجة. ويظهر بحث د. انيس ابي فرح ان الفئة العاملة من ٢٠ الى ٦٠ تشكل نحو ٦٥% من المغتربين بينما هذه النسبة بين المقيمين اقل. واذا ما دخلنا في المستوى التعليمي تصبح النتائج اسوأ فاسوأ : المهنيون ٢,٥% بين المقيمين مقابل ٥% بين المغتربين، الابتدائي ٢٢% بين المقيمين و ١٨% بين المغتربين، المتوسط ١٧% بين المقيمين و ١٠% بين المغتربين.

هجرة الجامعيين خلال الربع القرن الاخير كانت في اتجاه ٥ دول تمتص ثلثي الجامعيين وهي : الولايات المتحدة الاميركية ١٩%، كندا ١٤%، اوستراليا ١٥%، فرنسا ١٢%، ايطاليا ٣%... اما على الصعيد المهني فيشكل المهندسون ١٣% من المهاجرين والاطباء ٨,٧% والادارة

والخدمات ٨,٤%... اذا النزف مخيف ونوعي، عمرا وكفاءة، ويشمل كل لبنان في مختلف مناطق وطوائفه وعائلاته.

٢- د. علي فاعور : لبنان يواجه تحديات مهمة بالنسبة الى مستقبله، وخصوصا على الصعيد السكاني لناحية الهجرة، لا سيما الهجرة المغادرة، اذ هناك ايضا مشكلة الهجرة الداخلية المتمثلة بالاختلال البارز في التوزيعات السكانية للسكان وتمركزهم في الساحل وفي بيروت رغم مساحة لبنان الضيقة... ان لبنان اليوم في مرحلة حاسمة، وتكاد الهجرة الخارجية تعتبر الموضوع الاساسي في هذه التحديات والتي تتمثل في تباطؤ نمو السكان. فالاحصاءات تشير الى ان عدد سكان لبنان المقيمين هو ٣ ملايين و ٣٠٠ الف تقريبا. و التوقعات للسنوات المقبلة خلال النصف القرن المقبل تشير الى ان هذا العدد قد يبلغ ٥ ملايين و ٢٠٠ الف شخص. يعني ان نسبة النمو السكاني بطيئة جدا، كما ان التقديرات ايضا لنسبة النمو السكاني بطيئة جدا جدا. فبين ٧٥ و ٩٠ كانت النسبة ٠,٥%، اي تقريبا لم يكن هناك نمو سكاني، ثم عادت حركة النمو هذه بين ٩٠ و ٢٠٠٠ فارتفعت الى ٢,٥%، لكن التوقعات المستقبلية تشير الى انه بين ٢٠٠٠ و ٢٠٢٥ ستخفيض الى نحو ١%، وبعد ٢٠٢٥ ستصبح دون الـ ١%. وهذا الوضع تأثر بشكل اساسي بالهجرة الخارجية.

ففي التسعينات كانت هناك هجرة مغادرة، مقابل هجرة عائدة في ٩٢ و ٩٣. وما يمكن قوله انه من عام ٧٥ الى ٩٢ هاجر من لبنان وبقي خارجه اكثر من ٨٠٠ الف. الخطير في هذا الامر انها هجرة دائمة وبعيدة، ومعظمها هجرة اسر وفي شكل خاص الى الولايات المتحدة بالدرجة الاولى، ثم استراليا ودول اوروبا الغربية وافريقيا. وتقول دراسة وزارة الشؤون الاجتماعية مع صندوق الامم المتحدة للسكان ان هناك هجرة عائدة قبل عام ٩٠ وهي في حدود ١٢٥ الف نسمة... اننا اليوم وكأنا في محطات الهجرة امام مرحلة خامسة. الاولى ١٨٦٠ - ١٩٢٠، الثانية ١٩٢٠ - ١٩٤٠، الثالثة ١٩٤٥ - ١٩٧٥، الرابعة ١٩٧٥ - ١٩٩٠، والآن امام مرحلة خامسة. هناك موجة من الهجرة المغادرة، وهي تذكرنا بمخاطر الهجرات التي كان سببها الامن في خلال الحرب... ونحن الآن امام هجرة يبرز فيها في شكل اساسي الدور الاقتصادي. وبالفعل ان الهجرة للعمل سببها ضيق فرص العمل والجمود الاقتصادي وعدم تحقيق الآمال التي توقعها الناس في المرحلة بين ٩٥ و ٢٠٠٠. ان نسبة خسارة لبنان لموارده البشرية، التي بلغت ٨٠٠ الف شخص، قد ترتفع الى اكثر من مليون، علما ان اكثر وتيرة هجرة خلال الحرب بلغت ما بين ٤٠ و ٥٠ الفا سنويا...

الارقام كانت كبيرة، ولكن لم تكن تتعلق بالمغادرين نهائياً. ان اعتماد رقم الـ ٥٠ الفا يعني ان المغادرين نهائياً هم في حدود ٣٠٠ الف مهاجر. وهذا معناه ان مرحلة الهدوء كانت تشجع الناس على الرحيل، وبالتالي فان لبنان خسر نحو مليون وربع مليون مواطن... وهذه الخسارة الكبيرة انعكست على التركيب السكاني والنمو المستقبلي للسكان، فاصبحت تشكل ازمة في التركيب الديموغرافي لمستقبل لبنان ككيان سكاني، ولجهة تعويض هذه الخسارة التي ليست فقط عددية بل نوعية. اذ ان الدول امام هذه الاعداد الكبيرة من السكان جعلت الهجرة انتقائية كالولايات المتحدة الاميركية، وكندا، استراليا، والمانيا... فهي تقول انها تريد في هذه الأونة حرفيين مما أفقدنا الحرفيين في البلد. وفي مرحلة اخرى تقول انها تريد مهندسين. وفي ثالثة تريد اعماراً معنية. هنا الخطورة الكبيرة التي أثرت في البنية السكانية، وهذه بارزة في الهرم العمري، اذ انه تحت الـ ١٥ عاماً انخفضت النسبة الى ٣٢ و ٣٣% بينما كانت سابقاً فوق الـ ٤٠%. ومن ثم اكثر من ٦٥ عاماً ارتفعت نسبتهم بما يراوح بين ٧ و ٨%...

اذا النمو السكاني هو في هذا الانخفاض وسيستمر، وهذا يعني ان لبنان بحاجة الى نحو نصف قرن ليزيد عدد سكانه وفق التوقعات المستقبلية بحدود مليون و ٨٠٠ الف نسمة وهذا يمثل خسارة كبيرة جداً. ومن التركيب العمري للمهاجرين يظهر ان الخسارة الكبيرة وقعت في الاعمار ما بين ٢٠ و ٤٠ سنة. وقد بلغت هذه النسبة اكثر من ٧٠% وفق احصاءات وزارة الشؤون الاجتماعية. اما المناطق الاكثر نزفا فكانت في الدرجة الاولى ضواحي بيروت (ثلث المهاجرين من مناطق عاليه وبعدها)، ثم يأتي الشمال (النسبة ٢٧%)، ثم تأتي المناطق الاخرى... اما بالنسبة الى المستويات التعليمية فان اكثر من ثلث المهاجرين هم من ذوي التعليم العالي، ثم يأتي التقنيون والمهندسون ونسبتهم ١٣%.

لكن هناك ظاهرة جديدة مقلقة، تتمثل في هجرة الزواج وتبلغ نسبتها ٨٥% بين الاناث. وهذا يدق ناقوس الخطر في لبنان لجهة انعكاس الهجرة الخارجية على انخفاض الخصوبة التي هي في ادنى مستوياتها في لبنان. ويبين بعض الارقام ان متوسط العمر عند الزواج الاول بالنسبة الى الاناث هو في حدود ٢٨ سنة. اما اللواتي في اعمار بين ١٥ و ١٩ سنة فلم يعدن يتزوجن. ونسبة العازبات بينهن تبلغ ٩٥%. في الماضي كان هناك زواج لمن هن في الـ ١٨ و ١٩ عاماً، والآن اصبحت نسبة المتزوجات ٥% فقط. اما في فئة الاعمار بين ٢٠ و ٢٤ عاماً فتبلغ نسبة العازبات ٧١,٥%، وفي فئة العمر ما بين ٢٥ و ٢٩ عاماً تبلغ نسبة العازبات ٤٦,٥%. هذا هو النمو السكاني مستقبلاً، وبالتالي دخل لبنان مرحلة مبكرة جداً بالنسبة اليه عندما اقترب كثيراً من

الدول الأوروبية التي تعاني نقصا في الولادات وتواجه مشكلات ديموغرافية بالنسبة الى التعويض السكاني وسواه فلبنان يواجه الآن مشكلة مزدوجة، تتعلق بانخفاض الخصوبة وهجرة الشباب الى الخارج، والهجرة للزواج، وخصوصا في اتجاه الولايات المتحدة الاميركية واستراليا، علما ان الناس لم يرغبوا سابقا في الهجرة لهذه الغاية. هل من حلول عملية يمكن اقتراحها اليوم، تستطيع ان تضع مسألة الهجرة في اطارها الطبيعي، مع الاخذ في الاعتبار العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تتحكم بالوضع الراهنة؟ يتوقف المشاركون في الندوة عند عدة اقتراحات في هذا المجال :

اعادة تحريك الاقتصاد اللبناني، والبند الاساسي في هذا الموضوع خفض الفوائد. فلا يمكن تحريك الاقتصاد اللبناني مع هذا المستوى من الفوائد. فالواحد منا يفضل ان يضع امواله في البنك ويتقاضى فوائد ولا يعمل... ويجب ان تكون هناك خطة مبرمجة لخفض الفوائد والدين العام والعجز... من الآن حتى تنزل الفوائد على مدى 4 او 5 سنوات يجب تحريك برامج التسليف الميسر للقطاعات المنتجة (الفنادق، الصناعة، الزراعة، البناء...) هناك سياسات تكمل السياسة الاقتصادية وتتعلم بالنواحي الاجتماعية والسكانية... موضوع القطاع الخاص الذي يجب اعطاؤه حوافز ووضع ضوابط له، الحوافز كما يقول الجميع تتعلق بخفض الفوائد والضريبة. وفي الوقت عينه يجب ممارسة ضوابط تتعلق بتشغيل اللبنانيين وتشجيع الانتاج الوطني.

الازمة التي تبدو في ظاهرها ناجمة عن الدين واكلافه خطورتها ايضا في الاساس تكمن في خسارة الموارد البشرية. اذا كان بالامكان خفض الفوائد فليس بالامكان تعويض الخسائر الكبيرة الناجمة عن هجرة الكفاءات والفتة المتعلمة والادمغة التي يحتاج تعويضها وقتا طويلا. وقد يفقد لبنان ميزته وخصوصيته التي اشتهر بها في المنطقة العربية والعالم لجهة الفرادة في الكفاءات والطاقات المدربة والمتعلمة... لا يجوز لبلد كلبنان ان يعيش اكثر من ثلثي سكانه في شريط ساحلي تقل مساحته عن 10% من مساحة لبنان ويتركز فيه النمو العمراني.

تقوية ركائز الارتباط بين لبنان المقيم ولبنان المغترب بحيث يمكن تدعيم الاوضاع كما حصل اثناء الاحداث عندما كانت الهجرة صمام امام... ويمكن الاشارة هنا الى ان تحويلات المهاجرين في الاعوام الاخيرة زادت عن مليارين ونصف المليار دولار وفق احصاءات تقارير التنمية البشرية في عام 98. مساعدة المرجعيات الدينية من خلال توزيع الاراضي والمساعدة على تشييد المنازل والاقدام على الزواج من اجل الإقامة والاستقرار...